

آثار المستوى الصوتي للفصحى في لهجاتنا المعاصرة

The impacts of the classical Arabic voice level on the recent dialects.

أ/ خليل بالقط

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة ورقلة (الجزائر)

الأستاذ الدكتور: عمر بوبقار

قسم اللغة والأدب العربي، المدرسة العليا للأساتذة، سطيف

Khelil8739@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/03/15

تاريخ الإيداع: 2019/11/07

تاريخ القبول: 2019/12/14

الملخص:

إن الاختلاف الصوتي في لهجاتنا المعاصرة اليوم لم يوجد عبثاً أو مصادفة؛ فكثير منها نجده مواكبا للهجّة قديمة منصوص عليها في كتب اللغويين والمؤرخين، أو في قراءة قرآنية متواترة أو شاذة، ومن هذه المقاربات نستطيع أن نحكم بأنها امتداد عن بعض اللهجات العربية القديمة – إن لم يكن أغلبها -، خاصة تلك اللهجات التي تنأى في كثير من ألفاظها عن تأثيرات اللغة الأجنبية، ونحن لا ننكر تفشي اللحن وعمومه في كل لهجاتنا المعاصرة، ولكن هذا التفشي لم يرم بغباره على كل معايير الفصاحة؛ حيث بقيت كثير من الظواهر الصوتية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللهجة، وفي هذا البحث حاولت جاهداً أن أسرد كثيراً من الظواهر الصوتية في لهجاتنا باختلاف الأعراق والقبائل وعزوها إلى القبائل العربية الفصيحة التي شاعت عنها، أو إلى بعض الروايات في القراءات القرآنية والتي هي المرأة الصادقة لواقع اللهجات العربية القديمة. الكلمات المفتاحية: آثار؛ المستوى الصوتي؛ اللهجات القديمة؛ اللهجات المعاصرة، القراءات القرآنية.

Abstract:

firstly, the phonological difference in our dialects nowadays was not a vain, however, most of those dialects we find it in the linguistics's and author's books, or in a quranic reading. Secondly ,those approaches was from an arabic traditional dialects,mostly also from foreign language . finally, many of phonetic phenomena related strong in dialect, in addition to that, i worked hard in my research to speak more about phonetic phenomena in our dialect in different races and tribes and how spreaded in arabs tribes,or the quranic novels and reading that was the full clear and truth of arabic traditional dialect.

keywords: Effects; the Voice Level; the old dialects; the Contemporary dialects; the Quranic readings.

• الإدغام الكبير.

الإدغام عموماً هو: "أن تصل حرفاً بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة، أو وقف، فينبو اللسان عنهما نبوةً واحدة" ¹ ومن مصطلحاته كذلك الإدغام بوزن الافتعال، وصيغته بالتشديد من ألفاظ البصريين، أما بالتخفيف فهو من ألفاظ الكوفيين، ² ومن المشهود عليه أن لهجاتنا المعاصرة تميل إلى الخفة والاختصار، فتستغني عن الحركة، وهو ما جعل اللهجات المعاصرة تكثر فيها السواكن أكثر من الحركات، يقول إبراهيم أنيس: "ولا شك أن فناء صوت في آخر، تلك الظاهرة التي نسميها بالإدغام، يترتب عليه دائماً اقتصاد في الجهد العضلي والوصول بالنطق إلى مرماه من أقصر الطرق" ³، أما الإدغام الكبير فهو أن يكون الحرفان المدغمان متحركين، ⁴ وهذا من بين أسباب تسميته بالكبير، على خلاف الصغير الذي هو أن يكون الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً، وظاهرة الإدغام الكبير موجودة في لهجاتنا المعاصرة ميلاً إلى الخفة، مثل قولنا: (قَالَكَ، أو قاله، أو قالِي) الشائعة في لهجاتنا الجزائرية عموماً وحتى في الدول العربية الأخرى، وأصل هذين الكلمتين هو: (قالَ لَكَ، قالَ له، قالَ لي): حيث أدغمت اللام الأولى في اللام الثانية وذلك بعد تسكين الأولى من أجل الإدغام، ومن أمثلة الإدغام الكبير في لهجاتنا: (الكمالُ لله، والشيخُ خالد... إلخ) وذلك بتسكين اللام والخاء وإدغامها فيما بعدها وهذا ملحوظ وجلي، ولقد اكتفيت بالإدغام الكبير لأنه قليل الاستعمال في اللهجات العربية الفصحى خاصة إذا كان في كلمتين، وأكثر القبائل العربية القديمة التي تميل إلى الإدغام

عموما هي القبائل البدوية⁵ لميلها إلى السرعة والابتعاد على التؤدة والإفصاح، أما القراءات القرآنية فقد اشتهر الإدغام الكبير وانفرد به القارئ أبو عمرو بن العلاء.⁶

• كسرفاء (فعيل).

من العرب القدامى من يكسرفاء (فعيل) إذا كان الحرف الثاني من حروف الحلق الستة، وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم، يقول في الكتاب: "وفي فَعِيلٌ لغتان: فَعِيلٌ وفَعِيلٌ إذا كان الثاني من الحروف الستة ... إذا كان كذلك كسُرَتَ الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لَيْتِمْ وشَهِيد، وسَعِيد ونَحِيف، ورَغِيف ... إلخ"⁷، أما ابن فارس فينسب هذه الظاهرة إلى قيس وأزد،⁸ وهذا ملحوظ بكثرة في لهجتنا وادي سوف؛ حيث نقول: (شَعِير، بَعِير، صَعِيب، بَعِيد، صَغِير، ضَعِيف... إلخ)، بل تعدّى الأمر أكثر من ذلك بكسرفاء (فعيل) في أغلب الكلمات حتى وإن لم يكن الحرف الثاني من حروف الحلق، مثل قولنا: (نَظِيف، قَرِيب، كَبِير، طَوِيل، قَصِير، ثَقِيل... إلخ)، وفي بعض كتب اللغويين نص على هذه الظاهرة؛ وهي كسرفاء (فعيل) مطلقا حتى وإن لم يكن الحرف الثاني من حروف الحلق، وقد عزا ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى اليمن، يقول في كتابه العين: "وناسٌ من أهل اليمن مما يلي الشحر وعُمان يكسرون (فاء) فعيل كله، فيقولون للكثير: كثير"⁹، وهذا شائع كذلك في بلاد المشرق العربي كالشام ومصر، وفي لهجتنا وادي سوف لا يكسرون هذه الفاء مطلقا، فهناك كلمات كثيرة ترجع فيها الفاء إلى حركتها الأصلية وهي الفتح، سواء كان ثانيا حرفا حلقيا أو غير حلقيا، مثل قولنا: (حَلِيب، حَدِيد، خَفِيف، سَرِيع... إلخ)، وفتح الفاء في (فعيل) هو الأصل والشائع في اللهجات العربية القديمة، يقول محمد رياض كريم: "المشهور في فعيل فتح أوله سواء أكان ثانيا حرفا من حروف الحلق أم لا، ولكن بعض العرب يكسرون أوله إذا كان ثانيا حرفا حلقيا."¹⁰، أما في أغلب لهجات الجزائر وذلك في الشمال والوسط والشرق وغيرها فإنهم يسكنون فاء (فعيل) مطلقا، مثل: (حَلِيب، خَفِيف، بَعِيد، قَرِيب... إلخ)، وهذا مخالف لضوابط اللغة العربية التي لا تبتدئ بساكن، ويبدو أنه تأثر باللغة الأجنبية التي هي من سماتها الابتداء بالسكون، وأخيرا أريد أن أشير إلى أن ليست لدينا قاعدة محددة بمنطقتنا الصحراوية في كسر الفاء في (فعيل) أو فتحها، ويبقى الأمر في ذلك توقيفيا سماعيا، من جملة ذلك: نطقنا كلمة (الرَّيِّع) بكسر الراء، وفي كلمة (الخَرِيف) نرجع الخاء إلى حركتها الأصلية وهي الفتح.

• التَّلْتَلَة.

التلته ظاهرة صوتية قديمة منسوبة إلى قبيلة بهراء¹¹ وهي: "عبارة عن كسر حرف المضارعة، فيقال أنا عِلِم، ونحن نَعْلِم، وأنت تَعْلِم، وهو يَعْلِم..."¹²، والذي يُفهم من هذه الظاهرة الصوتية أنها تكون بكسر حروف المضارعة الأربعة مطلقاً، وهي: (الهمزة والنون والتاء والياء)، وليسبويه قول آخر في وجودها،¹³ ويشترط لتحقيق التلته شرطين؛ أن تكون عين الفعل مكسورة مثل (عِلِم)، وأن لا يكون حرف المضارعة ياء، ويبدو أن ذلك لثقل كسرة الياء، وينسب هذه الظاهرة لجميع لغة العرب باستثناء أهل الحجاز، ولهذه الظاهرة الصوتية امتداد ملحوظ في لهجاتنا المعاصرة حتى مع حرف الياء، ففي منطقتنا وادي سوف مثلاً نقول هذه الأفعال هكذا: (يَمْشِي، تَمْشِي، يَمْشِي، يَجْرِي، تَجْرِي، يَجْرِي، يَعْرِف، يَعْرِف، يَعْرِف... إلخ)، ولهذه الظاهرة وجود كذلك في القراءات القرآنية، مثل: (يَسْتَعِين، وَيَبْصُر، وَيَسُودُ)¹⁴، وهذه الظاهرة موجودة كذلك عند أهل المشرق في بعض الكلمات ولكن بزيادة باء ساكنة في أول الكلمة، مثل: (يُبَكِّت، يُبَلِّع، بُنْفِر... إلخ).

• اللخلخائية.

يعرّف اللغويون اللخلخائية بأنها عجمة ولكنة في النطق فلا يفهم المراد منه أو يفهم بصعوبة، يقول حاتم صالح الضامن في تعريفه لها: "عبارة عن العُجْمة واللُّكْنَة في المنطق، ورجل لخلخائي، أي: غير فصيح."¹⁵، والقياس في غير الفصحاة دليل كاف لمسيرة اللهجات المعاصرة التي تنأى عن الفصحاة خاصة الممزوجة باللغة الأجنبية، وتنسب هذه الظاهرة القديمة إلى أعراب الشَّحْر وعُمان، يقول السيوطي في كتابه المزهري: "من ذلك: اللخلخائية تعرض في لغة أعراب الشَّحْر وعُمان؛ كقولهم: مشا لله كان، أي ما شاء الله كان."¹⁶، وهذا التمثيل الأخير الذي ذكره السيوطي لظاهرة اللخلخائية (مشا لله) شائع بكثرة في اللهجات المعاصرة اليوم، وخاصة في بلاد المشرق والخليج العربي، وإذا تتبعنا أثر هذه الظاهرة في لهجاتنا الجزائرية سنجد لها حضوراً في بعض ألفاظنا المتداولة باختلاف الأجناس والأعراق، من جملة ذلك قولنا: (علاش) وتعني (على أي شيء)، وكلمة (ليش) وتعني (لأي شيء)، وفي جنوبنا الكبير بمنطقة أدرار يقولون: (الشَّيْصُرَا) بشين مشددة مكسورة وياء مدية وصاد ساكنة، وتعني هذه

الكلمة (الشيء الذي صار) ... إلخ، وهي ظاهرة تشبه النحت، وإذا تأملنا في الأمثلة السابقة سنجد حذفاً لكثير من الحروف خاصة في حروف المد واللين وهذا من سمات اللخلخائية، يقول محمد بن إبراهيم الحمد: "وهي تعرض في لغة أعراب الشَّحَر، وعمان، فيحذفون بعض الحروف اللينة".¹⁷

• الطَّمْطُمَانِيَّة.

وهي: "إبدال لام التعريف ميماً، مثل: طاب امهواء وصفا امجو، أي طاب الهواء وصفا الجو".¹⁸، وقد عزا السيوطي هذه اللغة إلى حمير،¹⁹ وتنسب كذلك إلى طيء والأزد وقبائل اليمن بعامة،²⁰ وهذه اللهجة تحدث بها النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أحاديثه كما يروى عنه، من ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام -: << ليس من امبر امصيام في امسفر >> بمعنى (ليس من البر الصيام في السفر)، وقوله كذلك: << من زنى من امبكر فاصقعه مائة جلدة >>، بمعنى البكر،²¹ وفي الشعر العربي القديم يروي اللغويون بعض الشواهد الشعرية التي يستبدلون الميم فيها بلام التعريف، كقول الشاعر:

ذاك خليلي وذو يواصلي // يرمي ورائي بامسهم وامسلمة

يريد بالسهم والسلمة،²² وربما الذي أتاح التناوب بين اللام والميم هو تقارب مخرجيهما وتشابه جرسهما، وقد لا توجد هذه الظاهرة في لهجاتنا المعاصرة بصفة ملحوظة، وقد وجدتُ منها شاهداً واحداً يبدلون اللام فيه بالميم عند إخواننا بالشام ومصر، وهي كلمة (البارح) بمعنى البارحة ينطقونها (امبارح).

• الفحفحة.

الفحفحة هي إبدال الحاء عيناً، وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة هذيل،²³ وهناك اختلاف بين الرواة في كونها مع حاء (حتى) فقط أو كل كلمة فيها حاء، وقد قرأ ابن مسعود في قراءة شاذة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ جَنَّتْهُ عَتَّى حِينَ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ عَتَّى حِينَ﴾²⁴ بإبدال الحاء عيناً في كلمة (حتى)، وهذا ما جعل بعض الرواة يجعلونها خاصة بهذه الكلمة فقط، ومن الرواة من يرى أنها خاصة بكل كلمة فيها حرف الحاء، يقول الدكتور عبد الغفار حامد هلال:

"هي قلب الحاء عينا مطلقا سواء كانت حاء حتى أو غيرها، في لغة هذيل يجعلون الحاء عينا فيقولون في مثل: حَلَّت الحياة لكلِّ حيٍّ: علَّت العياة لكلِّ عيٍّ" ²⁵، ويبدو أن هذا التبادل بينهما (الحاء والعين) لشدة تقاربهما وتشابههما وتوحد مخرجهما، يقول ابن جني يصف التقارب الشديد بينهما: "ولولا بُحَّة في الحاء لكانت عينا" ²⁶، ومن أجل هذا التقارب الشديد بينهما روت كتب الأدب إبدالهما بالعكس؛ حيث أن بعض العرب أبدلوا العين حاءً في بعض الكلمات، وفي ذلك قراءة شاذة لابن مسعود أبدل العين حاءً في بعض الكلمات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ ²⁷، ومن واقع لهجاتنا المعاصرة في إبدال العين حاء في وادي سوف مثلا، هو أننا في كلمة (معهد) يقرأها أغلبنا بالحاء (معهـد) وربما هناك كلمات أخرى في مثل هذا الصنف تتحول فيها العين إلى حاء نظرا لصعوبة مخرج العين وتفصيحها الدقيق.

• تخفيف الهمز:

إن من أكثر الحروف التي أثارت جدلا واسعا في الساحة الصوتية هو حرف الهمزة، وهو الصوت الموصوف اتفاقا بين علماء الأصوات بالمشقة والجهد، وقد جنحت كثير من القبائل العربية قديما إلى تخفيفه والتخلص من صلابته؛ يقول أبو محمد القيسي: "الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جلد صعب على الالفاظ به، بخلاف سائر الحروف، مع ما فيها من الجهر والقوة، ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف، فقد استعملوا فيها: التحقيق، والتخفيف، وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها في مواضعها، وذلك كله لاستثقالهم لها، ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها" ²⁸، إذن فملخص القول على الهمزة أنها تدور على حالتين: التحقيق والتخفيف، أما التحقيق فهو الأصل ولا مجال لسرده في اللهجات المعاصرة، أما التخفيف فهو اسم شامل تتعدد فيه الأساليب لذلك، يقول محمد سالم محيسن: "الوسائل التي سلكها العرب لتخفيف الهمز ما يلي: النقل، والإبدال، والتسهيل، والحذف" ²⁹ وسأطرق فيما يلي إلى تخفيف الهمزة في لهجاتنا المعاصرة وبيان هذا الامتداد من اللهجات الفصيحة:

1/ التخفيف بالتسهيل: تسمى بالهمزة المسهلة، وتسمى كذلك بهمزة (يُنْ يُنْ)، "ومعنى يَنْ يَنْ أن تُنطق الهمزة بين الهمزة والألف إن كانت مفتوحة ... وبينها وبين الياء إن كانت مكسورة ...

وبينها وبين الواو إن كانت مضمومة ... وحقيقة هذا النطق هي أن تُلفظ حركة الهمزة فقط من غير أن تُلَفَّظ الهمزة نفسها³⁰، وهذه الهمزة دقيقة جدا في السماع "ولا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة"³¹، وقد تظهر هذه الهمزة المسهلة في لهجاتنا المعاصرة ولكن دون قصد من المتكلم ولا استيعاب من السامع، وقد لحظت بعضها في لهجتنا الصحراوية بوادي سوف، من جملة ذلك في مثال الفتح قولنا مثلا: (أسمع، أسمعي ... إلخ)، وفي مثال الضمّ قولنا في حالة التعجب (أووو !)، وفي مثال الكسر قولنا في استعمال التنبيه للنداء أو في مقابل كلمة نعم (إيي) ... إلخ، وهي همزة قريبة جدا من المحققة من حيث الوزن ولكن بتخفيف النبر.³²

2/ التخفيف بالإبدال: وهو أن تبدل الهمزة بحرف آخر في الكلمة شريطة أن لا يؤدي هذا الإبدال إلى تحريف في المعنى أو غموض، وأغلبه أن تبدل الهمزة حرف مدّ مجانس لحركة ما قبلها إذا كانت الهمزة ساكنة؛ فإذا سُبِقَتْ - أي الهمزة الساكنة - بفتح أُبدِلَتْ ألفاً، وإذا سُبِقَتْ بضمة أُبدِلَتْ واوا مدية، وإذا سُبِقَتْ بكسرة أُبدِلَتْ ياء مدية.³³ وهذا الإبدال شائع بكثرة في كل لهجاتنا المعاصرة باختلاف الأعراق؛ ومن أمثله مع حرف الألف: (ياكل، الكاس، الفاس، الراس ... إلخ)، وأصلها: (يأكل، الكأس، الفأس، الرأس ... إلخ)، ومن أمثلة الواو: (مومن، مؤذي ... إلخ)، وأصلها: (مؤمن، مؤذي ... إلخ)، ومن أمثلة الياء قولنا: (الذيب، البير، جيت ... إلخ)، وأصلها: (الذئب، البئر، جئت ... إلخ)، وكل هذه الشواهد وغيرها موجودة في اللهجات القديمة في القبائل التي اشتهرت بالتخفيف.

ومن مظاهر الإبدال الموجودة في اللهجات القديمة كذلك والممتدة إلى لهجاتنا المعاصرة؛ هو أن تبدل الهمزة واوا إذا كانت مسبقة بواو مع الإدغام، وأن تبدل ياء إذا كانت مسبقة بياء وإدغامها فيها،³⁴ ففي لهجاتنا المعاصرة نقول مثلا: (النبّي، الضوّ، شيّ، الوضوّ ... إلخ)، وأصلها قبل الإبدال: (النبّي، الضوء، شيء، الوضوء ... إلخ)، وهذا الإبدال موجود في بعض اللهجات العربية القديمة.

ومن مظاهر الإبدال كذلك هو أن تبدل الهمزة المفتوحة واوا إذا كان ما قبلها مضموما، وياء إذا كان ما قبلها مكسورا،³⁵ مثل: (التُّودَة ← التُّودَة، الفؤاد ← الفؤاد، أن يقرِّئك ← أن

يقرّيك... إلخ)، ولهذه اللهجة امتداد في لهجاتنا المعاصرة، ففي كثير من بلاد المشرق والخليج يقولون (مِية) وأصلها (مئة)، وفي لهجاتنا كذلك نقول: (يوانس بمعنى يؤانس، وفلان مؤنس بمعنى مؤنس)، وكثيرا ما نسمع - خاصة كبار السن - عندنا يقرأون هذه الجملة (أشهد أنّ محمدا رسول الله)، يبدلون الهمزة في أن واوا خالصة هكذا: (أشهد وّن)، وكل هذا جائز وله وجه في اللغة العربية ولا يسمى لحنًا.

3/ التخفيف بالنقل: وهو أن تحذف الهمزة وتُنقل حركتها إلى الساكن الذي قبلها،³⁶ وشرطه أن تكون الهمزة متحركة مسبوقة بساكن صحيح، مثل: (قد أفلح ← قد فُلح، مسألة ← مسَلَة... إلخ)، وهي ظاهرة متفشية في كثير من القبائل العربية القديمة مع اختلاف في تطبيقها وأحكامها بينهم، وموجودة كذلك في بعض القراءات القرآنية وخاصة في رواية ورش التي مقروء بها في كل من الجزائر والمغرب، ولما كان حذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها فيه استساع وتخلص من عبء الهمزة مع الوضوح التام في العبارة امتلأت به لهجاتنا المعاصرة، وانتشاره بصفة واضحة في لام التعريف؛ حيث تحذف الهمزة المسبوقة بلام التعريف ثم تنقل حركة الهمزة المحذوفة إلى اللام التي قبلها، مثل قولنا: (لخمر، لخضر، لرض، لضراب، لخري... إلخ)، وأصل هذه الكلمات هكذا: (الأخمر، الأخضر، الأرض، الإضراب، الأخرى... إلخ) وهذا النمط في تخفيف الهمزة فصيح في اللغة العربية ومقروء به في بعض روايات القرآن الكريم، ومن أمثلة نقل حركة الهمزة في لهجاتنا المعاصرة في غير لام التعريف قولنا مثلا: (كاين اضْراب، اسمع انت... إلخ) حيث حذفت الهمزة من كلمتي (إضراب وإنت) ونُقلت حركة الكسر إلى الساكن الذي قبلها، وأصلها هكذا قبل عملية النقل (كاين إضراب، اسمع إنت).

4/ التخفيف بالحذف: وهو أن تحذف الهمزة تماما من الكلمة دون تعويض، وأغلب الأسباب هو كثرة استعمال الكلمة رغبة وميوّلا إلى الخفة،³⁷ ومن أمثلته في الموروث اللغوي كلمة (ناس) وأصلها (أناس)، وعندنا في لهجاتنا المعاصرة تحذف الهمزة في كلمة (أخي) بعد أداة النداء عندما نقول: (ياخي) وأصلها (يا أخي)، وقد حذفت الهمزة لكثرة تداول هذه الكلمة بيننا، وهذه الظاهرة أثر من آثار اللغة الفصحى مثل قول الشاعر أبي الأسود الدؤلي:

يا با المغيرة ربّ أمر معضل³⁸

وأصلها (يا أبا المغيرة)، وكذلك قول الشاعر:

ولست بمضطرب ولا ذي ضراغة // فخفض عليك القول يا با المثلّم³⁹

وقد حُذفت في لهجاتنا المعاصرة حتى من غير أداة النداء بحجة كثرتها في الكلام، ومن ذلك أسماء العلم عندنا في الجزائر لدرجة أنها أصبحت توثق من غير همزة مثل: (بوبكر، بومدين... إلخ)، ومما شاع فيه الحذف في لهجاتنا المعاصرة حذف الهمزة في الكلمات الممدودة دون

استثناء، مثل: (السما، القضاء، الدعا ... إلخ وأصلها السماء، القضاء، الدعاء)، وكلها واردة في اللهجات العربية القديمة والشعر العربي الفصيح.

• الفتح والإمالة:

وهي أكثر ظاهرة صوتية ملحوظة عندنا في بلادنا العربية، بل يكمن هذا الاختلاف في الدولة الواحدة، بل في الولاية الواحدة كما عندنا في وادي سوف، وهذه الظاهرة الصوتية العريقة موروثه من اللهجات العربية القديمة ومقروء بها في كثير من القراءات القرآنية كذلك، والإمالة مصدر للفعل أَمَل، ومعناها في الاصطلاح هي "أن تُميل الألف، نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة"⁴⁰، وجاء في كتب القراءات في تعريف الفتح والإمالة أن "الفتح عبارة عن فتح القارئ لفيه بالألف وما قبلها فتحا مستقيما ... والإمالة: وهو أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا، وهي المحض والإضجاع والبطح، وقليلًا: وهو بين بين، والتقليل والتلطيف"⁴¹، وينسب الفتح إلى أهل الحجاز من القبائل الحضرية، أما الإمالة فتنسب إلى القبائل البدوية مثل تميم وأسد وطيء وبكر ... إلخ⁴²، وقد امتدت هذه الظاهرة إلى لهجاتنا المعاصرة اليوم؛ فمثلا في الجزائر نجد القبائل الصحراوية يجنحون كثيرا إلى الإمالة، فهذه الكلمات مثلا: (الماء، العشاء، جاء، الناس، الباب ... إلخ) ينطقها أهل الشمال والشرق والغرب والوسط الجزائري بالفتح المحض، أما في الجنوب الجزائري كما عندنا في وادي سوف يميلون الفتح إمالة كبرى إلى الكسرة: (الهي، العشي، جي، النيس، البيب ... إلخ)، وهناك بعض الكلمات في منطقتنا قد بولغ في إمالتها فأصبحت كسرا محضا مثل كلمة (هنا) التي ينطقها أغلب الجزائريين بالفتح، وعندنا تنطق النون مكسورة مُردفة بياء مدية بعد إسكان الهاء (هني).

وإذا أردنا أن نتتبع أثر الإمالة في الأقطاب العربية وجدنا لها شيوعا كبيرا يجعلنا نحكم بأنها تضارع لهجة الفتح أو تنيف عنها، ففي مصر تكثر الإمالة في لهجتها وأكثرها في منطقة الصعيد، وما لفت انتباهنا تلك الإمالة التي انفرد بها إخواننا في الشام؛ وهي إمالة الحرف الذي يسبق الهاء المنقلبة عن تاء تأنيث مربوطة في حالة الوقف، وفي هذه الظاهرة قراءة قرآنية منصوص عليها في مراجع القراء، يقول ابن الجزري: "المراد بهاء التأنيث ما كانت في الوصل تاء فأبدلت في الوقف هاء سواء كانت للتأنيث نحو (رحمة، ونعمة) أو مشابهة له نحو (حمزة، وخليفة)"⁴³، فإخواننا في بلاد الشام احتفظوا بهذه الظاهرة الموروثة وبقيت متواترة عندهم إلى هذا الحين؛ حيث يميلون اللام والياء في مثل هذين الكلمتين: (الدولة العربية).

• الإتياع.

الإتياع في الحقيقة هو مذهب نحوي موجود في الكلام العربي، وقد أدرجته هنا من أجل الاستعمال الموسيقي، وهو أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيذا، وأرى أن

هذا الغرض من أجل إثراء موسيقى الكلام، يقول الدماميني: "وبموافق له في الزنة يحصل به مع التقوية تزيين اللفظ وإن لم يكن له في حال الأفراد معنى نحو: حسن بسن وشيطان ليطان وعفريت نفریت"⁴⁴، ويدرجه كثير من النحويين ضمن باب التوكيد، وفي هذه اللغة الموسيقية امتداد للهجاتنا المعاصرة مثل قولنا في كل الولايات الجزائرية هذه العبارة: (ساهل ماهل، وساهلة ماهلة)، وعندنا في وادي سوف بعض العبارات التي نسمعها تحاكي الإتياع مثل: (خرّار مرّار، مسّقم مرّقم، الهدايا المزايا ... إلخ).

• نقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف قبله حالة الوقف:

وبعبارة أدقّ، هو التبادل في الحركات بين الحرف الأخير والذي قبله إذا كان ساكناً في حالة الوقف، وهو مذهب لغوي موجود عند بعض القبائل القديمة؛ وذلك أن تتحول حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الذي قبله، ويبدو أن هذا النقل من أجل التخلص من الوقوف على ساكنين صحيحين لصعوبة ذلك إذا لم يكن أحد الساكنين حرف مدّ أو لين، فمثلاً كلمة (الفجر) حالة الوقف تصبح الراء ساكنة سكونا عارضاً؛ أي من أجل الوقف مع سكون الجيم الصحيح، فيتوالى ساكنان (الفَجْرُ)، ولا شك أن في هذا مشقةً لتحقيق الساكنين، ويُتخلّص من ذلك بنقل حركة الكسر إلى الجيم التي قبلها (الفَجِرُ)، يقول ابن جني: "الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنها فيه، ويزيد ذلك عندنا وضوحاً أن من العرب من يقول في الوقف: هذا عَمُرٌ وبَكْرٌ، ومررت بعمير وبكر، فينقل حركة الراء إلى ما قبلها إنما جاز ذلك لأنه إذا حرك ما قبل الراء فكأن الراء متحركة"⁴⁵، ولهذه اللمجة امتداد واضح في لهجاتنا المعاصرة، مثل قولنا: (القِسْمُ، السِّتْرُ، الرِّزْقُ، الذِّكْرُ... إلخ) بدلا من (القِسْمِ، السِّتْرِ، الرِّزْقِ، الذِّكْرِ)، ولهذه الميزة اللغوية شواهد شعرية قديمة، مثل قول حسان بن ثابت:

فارسي خيل إذا ما أمسكتُ // ربّة الخدر بأطراف السِّتْرِ
وقول الأعشى:

أذاقتهم الحرب أنفاسها // وقد تُكره الحربُ بعد السِّلْمِ
الشاهد (السِّتْرُ، السِّلْمُ، وأصلها السِّتْرُ، السِّلْمُ).⁴⁶ ، ولا يجوز أن نردّ هذه الرواية أو نضعفها في البيتين الشعريين السابقين أو أن نجعلها على سبيل الجواز؛ لأن الأداء العروضي لا يقتضي إلا أن تكون بهذه الصياغة.

• إثارة الإدغام في اللهجات المعاصرة:

لا شك أن الإظهار هو من أبرز سمات الفصحاة والبيان، وقد اشتهرت به قديما كثير من القبائل العربية رغبة في التؤدة والتأني في أداء الكلام، وهو من سمات القبائل الحضارية، يقول محمد رياض كريم: "أما الإظهار فينسب إلى البيئة الحجازية، وهي بيئة استقرار وبيئة حضارة

نسبياً، فيها يميل الناس إلى التآني في النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها⁴⁷، والقبائل الحجازية هي قريش وثقيف وكنانة وهذيل وغيرها، ولا يعني أن الإظهار في تلك القبائل هو عدم استعمال الإدغام في الكلام مطلقاً، فهناك صيغ وأبنية صوتية لا تتحقق إلا بالإدغام، والعكس صحيح؛ إذ لا يعني الإدغام في تلك القبائل العربية القديمة أو في لهجاتنا المعاصرة هو إهمال الإظهار تماماً والاستغناء عنه، فالأمر في الحكم كله يرجع إلى الشيع والأغلبية.

أما الإدغام فهو ظاهرة صوتية شائعة في كلام العرب وفي قراءة القرآن الكريم، مع اختلاف بينهم في تحقيقه لأنه ضرب من التأثير في الأصوات المتجاورة⁴⁸، "وتحدث هذه الظاهرة كثيراً في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ومزج بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في المنطق ... وعلى هذا فتنسب هذه الظاهرة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، ومنها تميم وأسد وطىء وبكر بن وائل وتغلب وعبد القيس⁴⁹."

ولما كان الإدغام يتمثل في سرعة الكلام واختصار النطق في الأصوات كان الأنسب إلى مواكبة اللهجات المعاصرة باختلاف أعراقها وأجناسها، وإذا تتبعنا أثره واقعاً في لهجاتنا اليوم وجدنا كثيراً من الصيغ لها أصل عربي فصيح أو قريب منه، وبعضاً منها لا تخضع لمقياس فصيح ويؤتى بها من أجل تسهيل النطق فقط، ومما لفت انتباهي في لهجتنا السوفية كثير من الكلمات لها أصل فصيح في الإدغام، وخاصة في حرف التاء مع الحرف الذي بعدها في الصياغة الصرفية (متفعل ويتفعل).

حرف التاء مخرجه من اللسان من طرفه، فإذا جاء بعده حرف من اللسان يدغم فيه ويغيب من النطق في لهجتنا السوفية، سواء كان الحرف الذي بعده من طرف اللسان أو من وسطه أو من حافته، وهذه أمثلة لحروف مختلفة: (مُطَوِّع ← مُطَوِّع)، (يتثاوب ← يتأوب)، (يتدخّل ← يدخّل)، (مُتَزَوِّج ← مُزَوِّج)، (مُتَضَرَّر ← مُضَرَّر) ... وهلم جرا، وهذا الإدغام وارد في اللهجات العربية الفصحى، ومن أمثلته في القرآن الكريم: (الْمُطَفِّرِينَ ← الْمُطَفِّرِينَ) حيث وردت الكلمتين بالإظهار وبالإدغام، أما إذا كان الحرف الذي بعد التاء ليس من اللسان كالحلق والشفيتين، أو من اللسان ولكنه بعيد إلى جهة الحلق لا يكون معه الإدغام، وسأعطي أمثلة على ذلك:

حروف الحلق مثل: (يتَهَوَّر، متَعَوِّد، متَغافل، متَخَوِّف، يتَحرق ... إلخ)

حروف الشفتين مثل: (متَوَقَّر، يتَفَكَّر، متَبَرِّي، يتمنّى ... إلخ)

حروف اللسان القريبة إلى الحلق مثل: (متَيَقَّن، يتَكَلَّم، متَكَبِّر، متَقاعد ... إلخ)

وهناك بعض الكلمات التي أدغمت من غير قياس ولا تنتسب إلى اللغة الفصحى، من جملة ذلك هذه الكلمة المشهورة عندنا في اللهجات الجزائرية عموماً وهي: (يا ودّي) بمعنى (يا ولدي)،

وإدغامها جاء على مراحل؛ حيث أبدلت اللام دالا ثم أسكنت حركتها ثم أدغمت في الدال التي بعدها، وليس هذا إلا من أجل الاقتصاد في النطق والسرعة في الأداء، وليس لذلك وجه في اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأنباري، عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، ط 01، 1999، بيروت.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، د ط، د ت.
3. ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، ج 01، تح: علي محمد الضباع، د ط، د ت.
4. ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 1997.
5. أحمد عبد اللطيف محمود الليثي، الصرف في مجالس ثعلب، دار العدالة، د ط، 1991، ص: 72، نقلا عن: مجالس ثعلب.
6. جلال الدين السيوطي، إيتقان في علوم القرآن، ج 01، مطبعة حجازي، القاهرة، د ط، د ت.
7. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، دار التراث، القاهرة، ط 03.
8. سيبويه، الكتاب، ج 04، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1982.
9. سيبويه، الكتاب، ج 04، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1982.
10. الصبان، حاشية الصبان، ج 04، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، د ط، د ت.
11. عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 01، 1987.
12. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1993.
13. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1993.
14. المبرد، المقتضب، ج 01، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، ط 02، القاهرة، 1994.
15. محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 01، دار الشرق العربي، بيروت، ط 03، د ت.
16. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه - موضوعاته - قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 01، 2005.
17. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه - موضوعاته - قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 01.
18. محمد بن محمد الرعيي الخطاب، الكواكب الدرية، ج 01، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط 01، 1990.
19. محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، التركي، طنطا، د ط، 1996.

20. محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 01، 1978، ص.
21. ابن مالك الطائي، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة، ط 01، 1982.

الهوامش:

- ¹ الأنباري، عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، ط 01، 1999، بيروت، ص: 286.
- ² الصبان، حاشية الصبان، ج 04، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، د ط، د ت، ص: 485.
- ³ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، د ط، د ت، ص: 173.
- ⁴ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 01، مطبعة حجازي، القاهرة، د ط، د ت، ص: 95.
- ⁵ محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، التركي، طنطا، د ط، 1996، ص: 172.
- ⁶ عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 01، 1987، ص: 121.
- ⁷ سيبويه، الكتاب، ج 04، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1982، ص: (107 – 108).
- ⁸ ينظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 01، 1997، ص: 29.
- الخليل، كتاب العين، ج 07، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، د ط، د ت، ص: 175.
- ¹⁰ محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، التركي، طنطا، د ط، 1996، ص: 147.
- ¹¹ أحمد عبد اللطيف محمود الليثي، الصرف في مجالس ثعلب، دار العدالة، د ط، 1991، ص: 72، نقلا عن: مجالس ثعلب، ص: (81 – 82).
- ¹² حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، دار الحكمة، الموصل، د ط، 1990، ص: 48.
- ¹³ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 04، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1982، ص: 110.
- ¹⁴ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 01، تح: علي محمد الضباع، د ط، د ت، ص: 47.
- ¹⁵ حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، دار الحكمة، الموصل، د ط، 1990، ص: 51.
- ¹⁶ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، دار التراث، القاهرة، ط 03، ص: 223.
- ¹⁷ محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه – موضوعاته – قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 01، 2005، ص: 103.
- ¹⁸ حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، دار الحكمة، الموصل، د ط، 1990، ص: 49.

- ¹⁹ ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، دار التراث، القاهرة، ط 03، ص: 223.
- ²⁰ ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه - موضوعاته - قضاياها، دار ابن خزيمة، الرياض، ط 01، ص: 101.
- ²¹ أحمد علم الدين الجندبي، اللهجات العربية في التراث، ج 01، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، د ط، 1983، ص: 399.
- ²² عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1993، ص: 189.
- ²³ ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، دار التراث، القاهرة، ط 03، ص: 222.
- ²⁴ ينظر: أحمد علم الدين الجندبي، اللهجات العربية في التراث، ج 01، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، د ط، 1983، ص: 381.
- ²⁵ عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1993، ص: (171 - 172).
- ²⁶ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 01، دار القلم، دمشق، ط 02، 1993، ص: 241.
- ²⁷ عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 02، 1993، ص: (175 - 176).
- ²⁸ أبو محمد القيسي بن أبي طالب بن مختار، كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 05، 1997، ص: 72.
- ²⁹ محمد سالم محيسن، المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 01، 1978، ص: 85.
- ³⁰ محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 01، دار الشرق العربي، بيروت، ط 03، د ت، ص: 42.
- ³¹ ابن يعيش، شرح المفصل، ج 09، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د ط، د ت، ص: 112.
- ³² ينظر: المبرد، المقتضب، ج 01، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، مطابع الأهرام التجارية، ط 02، القاهرة، 1994، ص: 292.
- ³³ ينظر: ابن مالك الطائي، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هري، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة، ط 01، 1982، ص: 2107.
- ³⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: (2105 - 2106).
- ³⁵ ينظر: الكتاب، ج 03، ص: 543.
- ³⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.
- ³⁷ ينظر: عبد الجواد الطيب، من لغات العرب لغة هذيل، د ط، د ت، ص: 94.
- ³⁸ حمزة عبد الله النشري، من مظاهر التخفيف في اللسان العربي، د ط، 1986، ص: 99.
- ³⁹ عبد الجواد الطيب، من لغات العرب لغة هذيل، د ط، د ت، ص: 94.
- ⁴⁰ أبو بكر البغدادي، الأصول في النحو، ج 03، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 03، 1996، ص: 160.
- ⁴¹ ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط 02، 2000، ص: 115.

⁴² ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، د ت، ص: 53.

⁴³ المرجع نفسه، ص: 132.

⁴⁴ محمد بن محمد الرعيي الخطاب، الكواكب الدرية، ج 01، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط 01، 1990، ص: 558.

⁴⁵ ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 01، دار القلم، دمشق، ط 02، 1993، ص: 80.

⁴⁶ الشاهدان الشعريان في كتاب سر صناعة الإعراب، ج 01، ص: 80.

⁴⁷ محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، التركي، طنطا، د ط، 1996، ص: 172.

⁴⁸ ينظر: عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1996، ص: 126.

⁴⁹ المرجع نفسه، ص ن.